الجامعة الإسلامية
أعظم جراة

الشارق

مجلة ثقافية إسلامية عربية تصدر في كل ثلاثة أشهر

الرئيس العام
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

أكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
٢٠٢٣م

تصدرها
الجامعة الإسلامية
بمظفرفور أعظم جراه، يو. بي (الهند)

من أهداف المجلة

أولاً:

تعريف التراث الإسلامي بالأخص تراث السنة النبوية الشريفة.

ثانياً:

محاربة البدع وفساد العقيدة.

ثالثاً:

توجيه الشباب المسلم إلى الاختيار بالوسطية والاعتدال في الفكر والعمل.

رابعاً:

اتصال بالمراكز العلمية والإسلامية في العالم الإسلامي والعربي عن تنسيق العمل بين هذه الجامعة وبين العلماء والباحثين بالعمل المشترك في هذا المجال العملي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشارق

مجلّة ثقافية إسلاميّة عربيّة تصدر في كلّ ثلاثة أشهر

أكتوبر
نوفمبر، ديسمبر
٢٠٢٣ م

المجلد الثامن
العدد الرابع

الرئيس العام
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

الهيئة الاستشارية
فيروز أختر الندوي
السيّد جاويد أحمد الندوي

هيئة التحرير
د. فريد الدين الندوي
محمّد رافع الندوي

عنوان المراسلات

مجلة الشارق العربية الجامعة الإسلامية
مظفربور أعظم جراه يوبي (الهند)

Alshariq Arabic, Jamia Islamia
MUZAFFARPUR-AZAMGARH (U.P.) 276302 INDIA

الشارق

مجلة ثقافية إسلاميه عربية

تصدر في كلّ ثلاثة أشهر

الجامعة الإسلامية

مظفر فور أعظم جراه يوبي (الهند)

❋ المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر –بالضرورة– عن رأي المجلة.

❋ الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة الشارق لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

الاشتراكات السنوية

في الهند: ١٠٠ روبية

ثمن النسخة: ٢٥ روبية

في العالم العربي: ٢٠ دولاراً

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم

Zakaria Book Depot

A/c No: **36723697140**

IFS Code: **SBIN0014131**

S.B.I. Muzaffarpur Gaon

Azamgarh

الجوال: (+918795565555)

التزيين: محمد أنس المعروفي

محتويات العدد

العناوين		الصفحة
الافتتاحية:		
سعادة الإنسانية	الدكتور تقي الدين الندوي	٣
مكانة السنة في الإسلام وعناية السلف بها	الدكتور محمد بن مطر الزهراني	٨
تدوين القرآن الكريم	الدكتور غانم قدوري الحمد	٢٢

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الإنسانية

بقلم: الأستاذ الدكتور المحدث تقي الدين الندوي حفظه الله ورعاه
رئيس الشؤون التعليمية لدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ
و مؤسس ورئيس الجامعة الإسلامية، بمظفرفور، أعظم جراه، الهند

لقد أكرم الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخالدة، وأنزل عليه الوحي والكتاب، فمن هنا طلعت الشمس التي أضاءت على العالم نوراً جديداً، وحياة جديدة، وإن هذا العالم يستقبل كل يوم صباحاً جديداً وحياة جديدة، ليس هذا غريباً، و أن للعالم صباحاً ليس فيه جد ولا طرافة.

ما أكثر ما استقبل العالم صباحاً، استيقظ فيه الإنسان ولم تستيقظ فيه الإنسانية، وما أكثر النهار المظلم والصبح الكاذب في العالم، لكن مذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم؛ طلع الصبح الصادق الذي أشرق نوره على كل شيء، واستيقظ فيه الكون، وتغيّر مجرى التاريخ.

قبل القرن السادس المسيحي كان قفل الإنسانية مقفلاً، وكانت الحياة كلها مقفلة ومعقدة، كان عقل الإنسان مقفلاً، أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، لأنهم فقدوا مفتاح الحياة، وكانوا حيارى، وبذلوا كل جهودهم لفتح قفل الإنسانية، ولكن ليس عندهم المفتاح الذي يفتح به القفل، وجرّبوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم فإذا

هي لا توافق الأقفال، وإذا هي لا تغني عنهم، وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

هنا من الله على العالم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي رسالته عاد هذا المفتاح .... ذلك المفتاح هو القرآن الكريم، ففتح به هذه الأبواب المقفلة قفلاً قفلاً، وضع هذا المفتاح على العقل الملتوي ففتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات في الآفاق والأنفس، ويتوصل من العالم إلى خاطره، ومن الكثرة إلى الوحدة، ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والأوهام، وضع هذا المفتاح على الضمير الإنساني النائم فانتبه، وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش، وتحولت النفس الأمارة بالسوء مطمئنة، لا تسيغ الباطل، ولا تتحمل الإثم حتى يعترف الجاني أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريمته، ويلح على العقاب الأليم الشديد، وترجع المرأة المذنبة إلى البادية حيث لا رقابة عليها، ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التي هي أشدّ من القتل، ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى، ويخفيه في لباسه يستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس، ويدفعه إلى الأمير لأنه مال الله الذي لا يجوز الخيانة فيه.

وجد العالم مجتمعاً عادلاً لم ير قبله، كانوا أقلهم تكلفاً وأعمقهم علماً وأبرهم قلوباً، كان كل فرد منهم متعلماً لنفسه ومعلماً لغيره، وأصبح المسلمون قوامين لله، شهداء بالقسط، ووجد الإيمان بالله وبيوم الدين، فكثر العدل وقل الجدل وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور فغرس في الأسرة الإيمان، وحذرهم من عقاب الله، قرأ اعليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]،...............وضمّ المسؤلية على الأسرة والمجتمع كله، فقال: كلكم راع، وكلكم مسؤل عن رعيته... وهكذا أوجد أسرة عادلة

متحابة مستقيمة ومجتمعاً عادلاً.

وأبرز صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الأمين............بالمادة المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يؤمن بأن الدنيا خلقت له، وأنه خلق للآخرة.

وبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وربّى أمة تقلدت مهام النبوة ومسؤلياتها من غير نبوة، وكلفت النهوض بالدعوة وصيانة الدين من التحريف والوصاية على العالم والحسبة على البشرية في كل زمان ومكان، وفي كل عصر ومصر، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد وصف القرآن أن هذه الرسالة هي الرسالة الأخيرة، وأن صاحبها هو الذي ختم به الأنبياء بصفات تشير إشارة بليغة إلى خلود رسالته وكونه قدوه صالحة وأسوة حسنة، في كل عصر وجيل، ولكل طبقة من الناس من غير تقييد بزمان ومكان، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لطبقات الناس جميعاً، وللأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان، اتجهت عناية الله إلى حفظ أخباره وآثاره وصفاته وأخلاقه وعاداته وتصرفاته، وصرف إليه قلوب المؤمنين إلى تتبع كل ما يصدر عنه من حركة وسكون، وأخذ وردّ وعادة وعبادة، وألهمهم الاعتناء لا مزيد عليه، كان سائقاً ليسوقهم إلى ذلك.

وتجلّت هذه العناية الإلهية بكل وضوح في الحديث والسيرة وفي كتب ....

الخارق للعادة بتسجيل دقائق الخلق والخلق والعادات والعبادات والأقوال والأفعال وكل ما يتصل بهذه الشخصية الكريمة اتصالاً يتصوره الذهن الإنساني وفي بسط وتفصيل، لا نظير لهما في سير الأنبياء، ولا في تاريخ العظماء، ولم يكن هذا مجرد مصادفة ولا وليد الاتجاه الشخصي، والعمل الفردي، ولم يكن فلتة من فلتات الدهر، إنما هو تقدير العزيز العليم ليتحقق العمل في كل عصر وجيل بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولئلا يكون لمتعلل بانقراض الآثار وانقطاع الأخبار عذر في ترك الأشياء والاقتداء كما هو الشأن في قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا الاسم أو أخبار مبثورة لا تكفى للاقتداء والاقتفاء.

ومن قرأ ما ورد من الآداب والأحكام عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم؛ عرف بدلالة العقل وسلامة الذوق أنها نعوت نبي قد بعث للأجيال كلها، وللعصور كلها، وأن شمس رسالته لا تقبل الكسوف، وأن نجمه لا يقبل الأفول.

ومن الأساليب القرآنية؛ ما جاء في وصف الرسالة التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أجمعين، والشريعة التي جاء بها، فهو أكبر الأساليب والدواعي لهذا الإعلان الصارخ المبرر، بل الموجب لانتهاء سلسلة النبوات والرسالات السماوية على محمد صلى الله عليه وسلم، فصرح القرآن بلسان عربي مبين، لا غموض فيه ولا لغز، بأن هذا الدين قد بلغ الطور الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر، والصلاحية للبقاء والاستمرار، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد نزلت هذه الآية يوم عرفة في حجة الوداع سنة عشر للهجرة، ولم ينزل بعدها كما تقول أكثر الآثار حلال ولا حرام، ولم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا اليوم إلا إحدى وثمانين ليلة، وقد فهم كبار الصحابة الذين كانوا من أعرف

الناس بأسرار هذا الدين، ومقاصد التشريع، وأقرب الناس إلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وأعظم الناس حبّاً له، وحرصاً على بقاءه، كان في مقدمتهم أبو بكر وعمر، دنوّ ما كانوا يحذرونه من مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحوقه بالرفيق الأعلى، فقد بلّغ رسالة الله، وكمل الدين وتمت نعمة الله على عباده، فمنهم من بكى، ومنهم من تنبأ يدنوّ هذه الساعة، وفهم علماء..... بالعلم القديم وتاريخ الديانات أنها كرامة خص بها المسلمون، ومفخرة لهذا الدين، لا يشاركه فيها دين آخر، رأوا أن اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية جدير بأن يخلد، ويحتفل به على مر العصور، ويبدي فيه المسلمون سرورهم وامتنانهم.

وهكذا فهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي نزلت عليه هذه الآية، فقال في خطبته يوم حجة الوداع، ينصت إليها أكثر من مأة ألف إنسان ويحفظونها: "أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمه بعدكم، ألا، فاعبدوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا ولاة أمركم تدخلوا جنة ربكم"، وكل هذه الكفالات والضمانات والإعلانات تدل بدلالة النص وإشاراته على أن هذا الدين هو رسالة الله الأخيرة، وحاجة البشرية كلها، على اختلاف العصور والأمصار، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، منذ بعث؛ نبي كل جيل وإمام كل عصر، وأن دينه الذي جاء به سفينة نوح في كل طوفان، وأن لا عاصم من أمر الله إلا من رحم والتجأ إلى هذه السفينة، وإنما تتشرف الأمم والجماعات والأفراد والأشخاص، ويكتب لهم البقاء والخلود، والعزة والنصر باتباع هذا النبي الكريم والاعتزاز بدينه والتمسك بأهدابه وحمل رسالته.

مكانة السنة في الإسلام وعناية السلف بها

الدكتور محمد بن مطر الزهراني
الأستاذ المشارك بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

تنوعت عناية السلف - رحمهم الله تعالى - بالسنة المطهرة، وذلك حسب الإمكانات والوسائل المتاحة في كل عصر ، ولذلك نلاحظ أنهم يبذلون غاية الجهد وكافة الإمكانات ومختلف الوسائل في العناية بالسنة علماً وعملاً، حفظاً وكتابة، ودراسة ونشراً بين الأمة كما سأبينه في هذا المقال إن شاء الله تعالى، وسأذكر نماذج من تلك العناية مراعياً ترتيب العصور تاريخيا ومقتصرا على القرون المفضلة التي تنتهي بنهاية القرن الثالث الهجري عصر ازدهار تدوين السنة وعلومها

أولا : العناية بالسنة في عصر الصحابة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد رسول الله ﷺ يستفيدون أحكام الشريعة من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن الرسول ﷺ.

وكثيراً ما كانت تنزل آيات من القرآن الكريم مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة كالأمر بالصلاة جاء مجملاً لم يبين في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها، وكالأمر بالزكاة جاء مطلقاً لم يقدر بالحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة و لم يبين مقاديرها ولا شروطها.

وكذلك كثير من الأحكام التي لا يمكن العمل بها دون الوقوف على شرح ما

يتصل بها من شروط وأركان ، فكان لا بد لهم من الرجوع إلى رسول الله ﷺ المعرفة الأحكام معرفة تفصيلية.

ورسول الله ﷺ هو المبلغ عن ربه وأدرى الخلق بمقاصد شريعة الله - عز وجل - وحدودها ومراميها.

وقد أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمة الرسول بالنسبة للقرآن أنه مبين له، وموضح لمراميه وآياته، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وكان الصحابة ﷺ يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويقتدون به ﷺ في كل أعماله وعباداته ومعاملاته - إلا ما علموا منه أنه خاص به - فكانوا يتعلمون منه أحكام الصلاة وأركانها وهيئتها أخذاً بقوله ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي »[١].

ويأخذون عنه مناسك الحج وشعائره امتثالاً لأمره ﷺ: « خذوا عني مناسككم »[٢].

وقد بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون ما يفعل ، ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سبباً، أو يسألوه عن علته أو حكمته.

أخرج البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم نبذه النبي ﷺ وقال: إني لن ألبسه أبدا، فنبذ الناس خواتيمهم »[٣].

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: « بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم،

---

[١] رواه البخاري في كتاب الأذان من صحيحه - باب الأذان للمسافر (فتح ٢ / ١١ ح : ٦٣١).

[٢] رواه مسلم في صحيحه عن جابر، وذلك في ذكر حجة النبي (٢ / ٩٤٣ ح : ٣١٠) من كتاب الحج.

[٣] رواه البخاري، انظر: البخاري مع الفتح (١٠ / ٣١٨ ح ٥٨٦٦) كتاب اللباس - باب خاتم الفضة.

فلما قضى رسول الله صلاته قال: ما حملكم على إلقاء نعالكم؟ قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً، أو قال: أذى »[١].

ولقد بلغ حرصهم على تتبعهم لأقواله وأعماله أن كان بعضهم يتناوبون ملازمة مجلسه يوماً بعد يوم ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول - فيما أخرجه عنه البخاري - : « كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك »[٢].

كما كانت القبائل النائية عن المدينة ترسل إليه ﷺ بعض أفرادها ليتعلموا أحكام الإسلام من رسول الله ﷺ ثم يرجعون إليه معلمين ومرشدين، بل كان الصحابي يقطع المسافات الشاسعة ليسأل رسول الله ﷺ عن مسألة نازلة أو حكم شرعي ، ثم يرجع لا يلوي على شيء.

أخرج البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحارث « أن امرأةً أخبرته بأنها أرضعته وزوجته فركب من فوره - وكان بمكة - قاصداً المدينة حتى بلغ رسول الله ﷺ، فسأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع، ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما، فقال النبي: كيف وقد قيل »[٣].

وكذلك كان من عادتهم - رضي الله عنهم - أن يسألوا زوجات النبي ﷺ فيما

---

[١] رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب الصلاة في النعال(١/ ٤٣٦ ح : ٦٥٠) ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١ / ٤٨٠) من عدة طرق.

[٢] رواه البخاري في كتاب العلم من صحيحه - باب التناوب في العلم (فتح ١ / ١٨٥ ح : ٨٩).

[٣] رواه البخاري في كتاب العلم - باب الرحلة في المسألة النازلة (فتح ١ / ١٨٤ ح : ٨٨).

يتعلق بشئون الرجل مع زوجته لعلمهن بذلك.

كما كانت النساء تذهب إلى زوجات النبي ﷺ ليسألنهن عن أمور دينهن، وأحياناً يسألن رسول الله ﷺ ما يشأن السؤال عنه من أمورهن ، فإذا كان هنالك ما يمنع النبي ﷺ من التصريح للمرأة بالحكم الشرعي أمر إحدى زوجاته أن تفهمها إياه كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - في كيفية التطهر من الحيض[١].

هكذا كانت عناية خير القرون - رضوان الله عليهم - بالسنة المطهرة في حياته ﷺ اقتداءً تاماً به ووقوفاً عند حدود أمره ونهيه، وتسليماً كاملاً لحكمه، والتزاماً دقيقا بهديه، وحرصاً شديداً على تعلم سنته ﷺ.

أما بعد وفاته فإننا نجدهم ﷺ - إضافة إلى ما سبق ذكره - يسلكون مجالات أخرى للعناية بسنة المصطفى ﷺ والحفاظ عليها، من ذلك حفظها والتثبت من ذلك حتى كان أحدهم يرحل في الحديث الواحد مسافة شهر ليتثبت من حفظه، وكذلك كتابتها في الصحف والأجزاء، ثم نشرها بين الناس وغير ذلك من المجالات.

كل ذلك وفق منهج عملي وعلمي يمكن الإشارة إلى أهم ملامحه فيما يلي:

استشعر الصحابة الكرام ﷺ عظم المسؤلية الملقاة على عواتقهم لحفظ الشريعة - كتاباً وسنةً - وتطبيقها، ثم تبليغها إلى الأمة أداءاً للأمانة التي اختيروا لها كما أداها رسول الله ﷺ إليهم. وقد كانوا ﷺ خير من حمل هذه الأمانة وخير من أداها بعد نبي الله ﷺ، وكان هذا الاستشعار لعظم المسؤلية منطلقاً مما وعوه عن رسول الله ﷺ في مثل قوله: « بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[٢].

---

[١] رواه البخاري في كتاب الحيض باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض (فتح: ٤١٤/١ ح ٣١٤).

[٢] رواه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر، عن بني إسرائيل (الفتح: ٤٩٦/٦ ح: ٣٤٦١).

وقوله: « نضر الله امرءاً سمع مقالتي ووعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع »[١].

وكذلك في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[٢].

وقوله : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع[٣] ».

وقوله : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين[٤] ». وغير ذلك من الأحاديث.

لذلك كله كان الصحابة رضوان الله عليهم مع حرصهم على تبليغ دين الله للأمة شديدي التحري والتثبت فيما يروونه عن رسول الله ﷺ، فكانوا لا يحدثون بشيء إلا وهم واثقون من صحته عن رسول الله ﷺ، ولا يقبلون من الأخبار إلا ما عرفوا صحته وثبوته، وهذه نماذج من أقوالهم ومواقفهم في ذلك:

١ - عن أنس رضي الله عنه قال: لولا أني أخشى أن أخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ، أو قالها رسول الله ﷺ وذلك أني سمعته يقول: « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[٥] ».

---

[١] رواه أبو داود في سننه - كتاب العلم - باب فضل نشر العلم (٤ / ٦٨ ح: ٣٦٦)، ورواه أيضاً الترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥ / ٣٣، ح: ٥٦٥٧ - ٥٦٥٨) وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح.

[٢] رواه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي ﷺ (الفتح: ١٩٩/١ - ٢٠٠ ح:١٠٧).

[٣] رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه (١٠/١، ح: ٥).

[٤] رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه (٨/١ – ٩، ح: ١).

[٥] سنن الدارمي - باب اتقاء الحديث عن النبي ﷺ والتثبت فيه (٦٧/١).

٢ - وعن ابن سيرين قال: « كان أنس قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ قال: أو كما قال رسول الله ﷺ »[١].

٣ - وعن الشعبي وابن سيرين: « أن ابن مسعود كان إذا حدث عن رسول الله ﷺ في الأيام تربد وجهه، وقال: وهكذا أو نحوه، وهكذا أو نحوه »[٢].

٤ - عن الشعبي قال: « جالست ابن عمر سنة فلم أسمعه يذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ »[٣].

٥ - وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: « أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه ».

وفي رواية : « يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول »[٤].

٦ - وعن السائب بن يزيد قال: « خرجت مع سعد إلى مكة فما سمعته يحدث حديثاً عن رسول الله ﷺ حتى رجعنا إلى المدينة »[٥].

٧ - وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: « قلنا لزيد بن أرقم، حدثنا عن

---

[١] رواه ابن ماجه في سننه - المقدمة - باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ (١١/١ ح: ٢٤)، والدارمي في سننه (٧٣/١) باب من هاب الفتيا مخافة السقط.

[٢] سنن الدارمي - باب من هاب الفتيا مخافة السقط (٧٢/١).

[٣] رواه ابن ماجه في سننه - المقدمة - باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ (١١/١ ح: ٢٦)، والدارمي في سننه (٧٣/١) باب من هاب الفتيا مخافة السقط.

[٤] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٦٣/٢)، مختصر المؤمل (ص: ٤٠ ح: ٦٤) فصل: السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها.

[٥] ابن ماجه في سننه - المقدمة - باب توقي الحديث (١٢/١ ح: ٢٩)، والدارمي في سننه - باب من هاب الفتيا مخافة السقط (٧٣/١).

رسول الله ﷺ، فقال : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد »[١].

ثانياً: العناية بالسنة المطهرة في عصر التابعين فمن بعدهم:

ما كاد عصر الصحابة ينقضي ليبدأ عصر التابعين حتى بدأ بزوغ شمس الفتن والأهواء والبدع، وذلك أن أعداء الاسلام من يهود و نصارى ومجوس وصابئة وفلاسفة شرقوا بهذا الدين الذي حمله هؤلاء الصحابة الكرام إلى الناس كافة، كما ضاق هولاء الأعداء ذرعاً بتلك الانتصارات العظيمة التي حققها الإسلام وذلك الانتشار السريع في أنحاء الأرض، ولما لم تجدهم المقاومة العسكرية لهذا المد الإسلامى شيئاً رام هؤلاء الأعداء: المكر والكيد لهذا الدين وأهله، فأخذوا يثيرون الفتن والشكوك والشبهات بين المسلمين وخاصة حديثي العهد بالكفر، وكانت بداية تلك الفتن بكسر ذلك الباب الذي أخبر عنه حذيفة ﷺ فيما رواه عنه الإمام مسلم في صحيحه عندما سأله أمير المؤمنين عمر ﷺ عن الفتنة التي أخبر عنها المصطفى ﷺ أنها تموج كموج البحر، فقال له حذيفة: مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا، فقال عمر: وهل يفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يكسر، قال: فإنه حري ألا يغلق مرة أخرى». وأخبر حذيفة في الحديث أن عمر كان يعلم أنه هو الباب كما يعلم أن دون غد الليلة[٢].

وكان كسر ذلك الباب بقتل عمر - رضى الله عنه وأرضاه - وذلك بمؤامرة مجوسية صليبية، وبذلك انفتح باب الفتن التي كان عمر - رضى الله تعالى عنه - باباً موصداً في وجوه أصحابها، والمتتبع لسيرة عمر يجد ذلك واضحاً جلياً حيث كان عمر ﷺ متيقظاً فما تكاد تبزغ فتنة أو بدعة هنا أو هناك إلا ويقضي عليها في

---

[١] ابن ماجه في سننه - المقدمة - باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ.

[٢] صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب في الفتنة التي تموج كموج البحر (٢٣١٨/٤ ح: ٢٦).

مهدها، وما قصة صبيغ بن عسل[١]، وصاحب دانيال[٢] الذي كان ينسخ صحفه وينشرها بين الناس إلا نماذج من الأدلة على ذلك التيقظ والصرامة من عمر في وجوه أصحاب الفتن والبدع والأهواء، فقد حسم عمر أمرهما باستدعائهما إليه في المدينة وحبسهما وضربهما حتى تابا وأعلنا توبتهما، عند ذلك ردهما إلى أهلهما ثم منع عمر رضي الله عنه المسلمين من تكليمهما أو الجلوس إليهما وذلك لمدة شهر من الزمان حتى قال الراوي: «ولقد رأيت صبيغ يمشي في البصرة كالناقة الجرباء لا يقربه أحد وذلك عزمة أمير المومنين».

هكذا تكون حماية الأمة ودينها ومعتقدها من المرجفين وأصحاب البدع والأهواء، وهكذا يكون الحاكم المسلم الحارس الأمين على دين الأمة وعقائدها وأخلاقها، رحم الله شهيد المحراب عمر ورضي عنه وأسكنه فسيح جناته، وحشرنا معه يوم القيامة وذلك بحبنا له.

ثم انضم إلى ذلك التآمر المجوسي النصراني: المكر اليهودي على يد ابن سبأ الذي أصبح بعد ذلك أساس كل فتنة في الإسلام، ثم تتابعت الفتن والبدع، فظهرت بدعة القول بالقدر، ثم التجهم والرفض فالاعتزال وغيرها.

وعند انتشار هذه الفتن والبدع والأهواء سلكت الأجيال التالية لجيل الصحابة الأخيار من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة طرقاً ومجالات أخرى لحفظ السنة والعناية بها حسب الإمكانات والوسائل المتوفرة لهم في تلك العصور.

وقد تمثلت تلك المجالات في:

---

[١] صبيغ - بوزن عظيم - آخره معجمة، بن عسل - مهملتين الأولى مكسورة - انظر قصته مع عمر في تفسير ابن كثير في تفسير سورة الذاريات (٣٩/٧) والإصابة لابن حجر (٣٨/٥).

[٢] انظر: قصته مع عمر في تقييد العلم للخطيب (ص: ٥١).

١ - العناية بحفظها.

٢ - السؤال عن الإسناد.

٣ - البحث في أحوال الرجال ونقلة الأخبار الذي نتج عنه علم الرجال الذي أصبح ميزة هذه الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم.

٤ - تدوين السنة الذي بدأ بصحف وأجزاء ثم تطور إلى مصنفات مبوبة ومرتبة إما على الأبواب كالكتب الستة والموطأ وغيرها، وإما على المسانيد كمسند أحمد وغيره، وغير ذلك من المجالات، وفيما يلى نماذج من أقوال أئمة السلف في التثبت والتحرى في أحوال الرجال ونقلة الأخبار، وعدم الأخذ عن غير الثقات:

١ - قال الإمام مسلم بن الحجاج : « واعلم - وفقك الله تعالى - أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه ، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع[١] ».

ثم ساق بإسناده عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم[٢] ».

ثم ساق بإسناده أيضاً إلى مجاهد قال: « جاء بشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن[٣] لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع

---

[١] مقدمة صحيح مسلم (٨/١).

[٢] مقدمة صحيح مسلم (١٢/١ - ١٣).

[٣] أي: لا يصغي لحديثه.

لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرفه »[١].

٢- عن ابن سيرين قال: « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ».

وعنه أيضاً قال: « لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »[٢].

٣ - وعن عبدان بن عثمان المروزي قال: « سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٣].

٤- وعن علي بن شقيق قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: « دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف »[٤].

٥ - وعن عمرو بن علي الفلاس قال: سمعت يحيى بن سعيد قال: « سألت سفيان الثورى، وشعبة، ومالكاً، وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً في الحديث فيأتيني الرجل فيسألني عنه؟ قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت[٥].

٦ - قال عبد الله بن المبارك: « قلت لسفيان الثوري: إن عباد بن كثير من تعرف حاله، وإذا حدث جاء بأمر عظيم فترى أن أقول للناس لا تأخذوا عنه؟ قال سفيان: بلى ».

---

[١] مقدمة صحيح مسلم (١/١٢ - ١٣).

[٢] مقدمة صحيح مسلم (١/١٥).

[٣] مقدمة صحيح مسلم (١/١٦).

[٤] مقدمة صحيح مسلم (١/١٦).

[٥] مقدمة صحيح مسلم (١/١٦).

قال عبد الله: فكنت إذا كنت في مجلس ذكر فيه عبادا أثنيت عليه في دينه وأقول: لا تأخذوا عنه[١].

٧ - عن الحميدي عن ابن عيينة قال: كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر، فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه وتركه بعض الناس، فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة »[٢].

٨ - وعن زكريا بن عدي قال: « قال لي أبو إسحاق الفزاري: أكتب عن بقية ما روى عن المعروفين، ولا تكتب عنه ما روى عن غير المعروفين، ولا تكتب عن إسماعيل بن عياش ما روى عن المعروفين ولا عن غيرهم »[٣].

٩ - وعن ابن المبارك قال: « لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله ابن محرر[٤] لاخترت أن ألقاه: ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه »[٥].

١٠ - قال عبيد الله بن عمرو: قال زيد بن أبي أنيسة: « لا تأخذوا عن أخي »، وقال عبد الله بن عمرو: « كان أخوه يحيى بن أبي أنيسة كذابا[٦].

---

[١] مقدمة صحيح مسلم (١/١٧).

[٢] مقدمة صحيح مسلم (١/٢٠).

[٣] مقدمة صحيح مسلم (١/٢٥)، ولعله أراد شيوخه عن غير الشاميين، أما شيوخه الشاميّون فهو صدوق فيما يرويه عنهم (راجع ترجمة: إسماعيل ابن عياش في تهذيب التهذيب لابن حجر وتقريبه).

[٤] قال الحافظ: ((محرر - بمهملات - الجزري القاضي، متروك، مات في خلافة المنصور (التقريب: ٣٢٠).

[٥] مقدمة صحيح مسلم (١/٢٧).

[٦] مقدمة صحيح مسلم (١/٢٧). هكذا يكون أداء الأمانة، وبذلك استحق السلف أن يكونوا أمناء على هذا الدين حقاً، حيث كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، فهم يقولون الحق ولو كلفهم بذل المهج والأرواح، فرضي الله عنهم غاية كل غاية، وفوق كل اعتبار، فهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح -أمين هذه الأمة- يقتل أباه الجراح يوم بدر، وذاك علي بن المديني يسأل عن حال والده فيقول: والدي ضعيف الحديث، وزيد بن أبي أنيسة =

ثالثاً: الرحلة في طلب الحديث:

إن السنة وحى من الله وأنها المبينة لما أشكل من كتاب الله، فلما كانت للسنة هذه المكانة أولاها السلف غاية اهتمامهم، وبذلوا من أجل جمع الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة على بعد الشقة وعظم المشقة طلباً للحديث وبحثاً عن أسانيده وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقوله ﷺ: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة »[١].

وقد كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي، قال الحافظ ابن الصلاح: « وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره ».

روينا عن يحيى بن معين أنه قال: أربعة لا تؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث.

وروينا عن أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلو؟ فقال: بلى والله شديداً، لقد كان علقمة والأسود يبلغنا الحديث عن عمر رضي الله عنه، فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.

وعن إبراهيم بن أدهم ﷺ قال: إن الله تعالى يدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث[٢].

= لم يكتف ببيان حال أخيه بل أتبع ذلك بالتحذير والنهي عن الأخذ عنه، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

[١] رواه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٠٧٤/٤ ح: ٢٦٩٩).

[٢] انظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ٢٢٢ - ٢٢٣).

تاريخ نشأة الرحلة في طلب العلم:

الأصل في ذلك رحلة نبي الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام الخضر وقد قصها الله علينا في سورة الكهف.

وبدأت الرحلة في الإسلام برحلة تلك الوفود من القبائل العربية الّتي كانت تفد على رسول الله ﷺ من أنحاء الجزيرة العربية تبايعه على الإسلام، وتتعلم منه ما جاء به من الوحي كتاباً وسنةً.

ثم اهتم بها الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ عندما تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوحات، فرحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في الشام واستغرق شهراً ليسمع منه حديثاً واحداً لم يبق أحد يحفظه غير ابن أنيس[١].

ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر بمصر، فلما لقيه قال: حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، فلما حدثه ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً إلى المدينة ولم يحل رحله[٢].

وقد استمرت الرحلة في جيل التابعين حيث تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوحات يحملون معهم ميراث النبوة ، وما كان يتيسر للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله دون الرحلة إلى الأمصار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها.

قال الإمام سعيد بن المسيب سيد التابعين: « إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام »[٣].

---

[١] ترجم به البخاري في كتاب العلم من صحيحه - باب الخروج في طلب العلم، وأخرجه الخطيب في كتاب الرحلة بسنده (ص: ١٠٩ - ١١٨).

[٢] الخطيب البغدادي في الرحلة (ص: ١٨٨)، وابن عبد البر في الجامع (١/٩٣ - ٩٤).

[٣] أبو عمر ابن عبد البر: الجامع (١/٩٤).

وقال بسر بن عبد الله الحضرمي: « إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه » ، وقال عامر الشعبي: « لم يكن أحد من أصحاب عبد الله بن مسعود أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق » [١].

وحدث الشعبي رجلاً بحديث ثم قال له: « أعطيناكها بغير شيء، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة » [٢].

وعن أبى العالية الرياحي قال: « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم » [٣].

[١] المصدر السابق.

[٢] الخطيب: الكفاية (ص: ٤٠٢، ط: حيدر آباد)، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (٩٤/١).

[٣] أبو محمد الدارمي: السنن (١٤٤/١ ح: ٥٧٠) باب الرحلة في طلب العلم.

تدوين القرآن الكريم

الدكتور غانم قدوري الحمد

كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ:

أولاً - القرآنُ يَمْحُو أمية العرب:

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ والعرب تغلب عليهم الأمية، قال البلاذري وهو يتحدث عن الكتابة في مكة: "دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب". وقال عن الكتابة في يثرب: إن الإسلام جاء وفيهم عدة يكتبون، وذكر منهم أحد عشر رجلاً[١]. ومن ثم قال ابن قتيبة : وكانت الكتابة في العرب قليلا[٢].

وقد وصف الله تعالى العرب في القرآن بالأميين، ووصف رسوله بالنبي الأمي، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ [الأعراف: ١٥٧].﴿...فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، والتفسير الذي يذهب إليه أكثر المفسرين لكلمة الأمي هو أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ، ومعنى كلمة الأميين هم الذين لا يكتبون ولا يقرؤون، وقد وصف القرآن النبي ﷺ بالأمي لأنه لم يقرأ كتاباً، ولا تعلم الكتابة، ووصف العرب بالأميين لأن أكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون[٣].

---

[١] فتوح البلدان (ص: ٤٧٧و٤٧٩).

[٢] المعارف (ص: ١٣٠).

[٣] الطبري: جامع البيان ٩/٨٣ و ٢٨/٩٤، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/٧ و ٩١/١٨، =

وكان بزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب إيذاناً بنهضة شاملة، كان أحد مظاهرها انتشار الكتابة واستخدامها في أغراض الحياة المتعددة على الرغم من قلة الكاتبين في بدء الدعوة، وصعوبة وسائل الكتابة، ولا يخفى على القارئ أن الأمر بالقراءة وذكر التعليم بالقلم في أول آيات أنزلت على رسول الله ﷺ شيء ذو دلالة أكيدة على عناية الدعوة الجديدة بالكتابة والعلم، كما أن تسمية القرآن بالكتاب في آيات كثيرة أمر يدل على استشرافها لآفاق المستقبل الذي يجمع فيه القرآن في كتاب.

كان رسول الله ﷺ أمياً، وكانت الأمية في حقه فضيلة[١]، لأنها أدل على صدق ما جاء به، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، لكنه مع ذلك اعتنى بموضوع الكتابة كثيراً، واتخذ له كتّاباً يكتبون له الوحي، ويكتبون رسائله وعهوده وما كان يأمر به، حتى بلغ عدد كتابه من صحابته أكثر من أربعين كاتباً[٢]. وشجع على تعلم الكتابة، حتى إنه جعل فداء أسرى بدر ممن لم يكن له مال أن يُعلِّم صبيان الأنصار الكتابة[٣]، فَيُعَلِّمَ كلُّ واحدٍ عشرة من المسلمين الكتابة[٤]، فقلت الأمية بين العرب بعد انتشار الإسلام بينهم، وقد فسر ابن عباس كلمة (الكتاب) الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فسرها بالخط والقلم، وكلمة (الكتاب) مصدر للفعل (كَتَبَ) مثل الكتابة[٥]، فقال: « الكتاب:

= والبيضاوي: أنوار التنزيل ١/٣٦٢ و ٢/٤٩٢.

[١] ينظر: ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/١٦ .

[٢] ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٦٩ والهوريني: المطالع النصرية ص: ١٣.

[٣] ينظر: أبو عبيد: كتاب الأموال ص ١٢٨ ، ومسند الإمام أحمد ١/٢٤٧.

[٤] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٢٢.

[٥] ابن منظور: لسان العرب ٢/١٩٢ كتب.

الخط بالقلم، لأن الخط فشا في العرب بالشرع، لما أُمِرُوا بتقييده بالخط[١].

ثانياً - النبي ﷺ يأمر بكتابة القرآن:

نزل القرآن مفرقاً، وكان رسول الله ﷺ قد يسر الله له حفظ القرآن، فلم تكن به حاجة إلى مصحف يقرأ فيه، وكان يتلوه على صحابته، ويأمرهم بتعهده خشية نسيانه، وآفة الحفظ النسيان، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بكتابة القرآن، ونقل عنه أنه قال: قيدوا العلم بالكتاب[٢]. وهذا القول من جوامع الكلم، فقد جعل الكتابة كالقيد للعلم، فلا يذهب ولا يُنسى. وكان القرآن الكريم أولى بالتقييد من غيره، حتى لقد قال ﷺ في الحديث المشهور الذي رواه أبو سعيد الخدري: لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فَلْيَمْحُهُ[٣]. وكان ذلك خشية أن تختلط ألفاظ الوحي بحديثه ، وقد أذن لبعض الصحابة بكتابة الحديث بعد ذلك[٤].

ونقل الصحابة عن النبي ﷺ أنه كان كلما نزل عليه الوحي دعا بعض من يكتب له، فيقول له : ضَع هذه الآية أو الآيات في السورة التي يُذْكَرُ فيها كذا وكذا[٥]، يعني اسم السورة. وكان كثيراً ما يقول: ادْعُ لي زيداً، وَلْيَجِئ بِاللَّوْحِ والدواة[٦]، فيكتب له الوحي. وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول الله ﷺ لا سيما أنه كان جار رسول الله ﷺ في المدينة، فقد روى ابن أبي داود عن خارجة بن زيد قال: دخل نفر على زيد بن ثابت، فقالوا: حدثنا بعض حديث رسول الله، فقال: ماذا

---

[١] ينظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩٢/١٨.

[٢] الخطيب: تقييد العلم ص ٦٩ ، وروى الدارمي هذه الكلمة عن عمر بن الخطاب (سنن الدارمي ١٢٧/١)، وقد يكون عمر اقتبسها عن النبي واستشهد بها.

[٣] صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٩/١٨، والدارمي : كتاب السنن ١١٩/١.

[٤] ينظر: سنن الدارمي ١٢٥/١.

[٥] ابو داود: كتاب السنن ٢٠٩/١ وأبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٢٣٣، والزركشي: - البرهان ٢٣٤/١.

[٦] البخاري: الجامع الصحيح ٢٢٧/٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء٢/ ٣٠٨.

أُحَدُثُكُمْ، كُنتُ جَارَ رسول الله فكان إذا نزل الوحي أرسل إلى فكتبت الوحي،...[١].

ولا ريب في أن كتابة القرآن في المدينة كانت أيسر منها في مكة، لما كان يعانيه المسلمون من القلة والأذى من المشركين، ومع ذلك جاءت روايات تؤكد أن القرآن كان يُكتب في مكة - قبل الهجرة - وأنَّ النبي ﷺ كان يأمر بكتابته[٢]. وقد ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن أوائل سورة طه كانت مكتوبة في رقعة في بيت أخته فاطمة يتعلمون منها القرآن[٣]. ولم تكن هذه الصحيفة إلا واحدة من صحف كثيرة كانت متداولة بين المسلمين في مكة يقرؤون فيها القرآن[٤].

ويبدو أن عدداً غير قليل من الصحابة كانوا يكتبون القرآن، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم: « لا تكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر »[٥]. وذلك لحاجتهم إلى الكتابة على الأكتاف والجلود ونحوها، ومن ثم كثرت الصحف التي كتب عليها القرآن في أيدي الصحابة حتى إن النبي ﷺ نهى أن يُسَافَرَ بالقرآن أو المصاحف إلى أرض العدو خشية أن ينالوها[٦].

ثالثاً - مراجعة كتابة القرآن:

لم تتوقف كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ حتى اكتملت كتابته كله، لكنه لم يكن قد جمع في مكان واحد، وإنما كان مفرقاً في الرقاع والألواح والعُسُب[٧]. وقد

---

[١] كتاب المصاحف ص٣، وينظر : أبو الشيخ: أخلاق النبي وآدابه ص ١٩ .

[٢] ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٦٨/١.

[٣] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٦٧/٣ ، وابن هشام: السيرة النبوية ٣٤٤/١.

[٤] محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص ٣٠٩.

[٥] أبو عبيد : فضائل القرآن ١٧ و.

[٦] ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ١٧٩ - ١٨٥ .

[٧] ابن حجر : فتح الباري ١٢/٩، والقسطلاني : لطائف الإشارات ٥١/١.

نقل الطبري عن الزهري أنه قال : قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء، وإنما كان في الكرانيف والعسب[١].

وكانت كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ تخضع للمراجعة والتدقيق، في مرحلتين، الأولى عند كتابة الآيات التي ينزل بها جبريل على النبيﷺ، والثانية مراجعة القطع التي كُتب عليها القرآن وترتيبها.

روى سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد أنه قال: « كنتُ أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يُمْلِي عَلَيَّ، فإذا فَرَغْتُ قال: اقْرَأْهُ، فَأَقْرَؤُهُ، فإن كان فيه سَقَط أَقَامَهُ، ثم أخرج به إلى الناس[٢]. ومعنى قوله: (فإن كان فيه سقط أقامه) إن وَجَدَ في الكتابة نقصاً أصلحه.

وروى المحدثون عن زيد بن ثابت أنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ نؤلِّفُ القرآن من الرقاع[٣]، ومعنى التأليف: الترتيب، لأنه يقال في اللغة: ألفتُ الشيء تأليفاً، إذا وصلت بعضه ببعض، وجمعت بعضه إلى بعض[٤]. والرقاع جمع رقعة، وهي تطلق على ما كان يكتب عليه القرآن آنذاك[٥]. وقد قال البيهقي معلقاً على هذا الحديث: وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب : الآيات المتفرقة في

---

[١] جامع البيان ٢٨/١.

[٢] البسوي: المعرفة والتاريخ ٣٧٧/١، والطبراني: المعجم الكبير ١٤٢/٥، والصولي: أدب الكتاب ص: ١٦٥، والسمعاني: أدب الإملاء ص: ٧٧، والهيثمي : مجمع الزوائد ٢٥٧/٨.

[٣] الترمذي: كتاب السنن ٦٩٠/٥ ، والحاكم: المستدرك ٢٢٩/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي: دلائل النبوة ١٤٧/٧، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٤٤.

[٤] ابن منظور: لسان العرب ٣٥٢/١٠ ألف .

[٥] المصدر نفسه ٤٩١/٩ رفع. وينظر: السيوطي: الاتقان ١٦٨/١، حيث ذكر أن القرآن كتب آنذاك على قطع الأديم، والأكتاف، والأقتاب، والقتب خشب الرحل، واللخاف وهي الحجارة الدقاق والعشب وهو كرب النخيل والرقاع، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ[١].

وبناء على ذلك نص العلماء على أن كتابة القرآن سنةُ نبويةٌ ثابتة حفظ الله تعالى بها القرآن من الزيادة أو النقصان أو التحريف، فقال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ): "كتابة القرآن ليست بمُحدثة، فإنه كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مُفَرَّقاً في الرقاع والأكتاف والعسب"[٢]. وقال أبو عمر الداني (ت ٤٤٤هـ): إن رسول الله ﷺ سَنَّ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وأنه لم يَمُتْ صلى الله عليه وسلم حتى حفظ القرآن جماعة من أصحابه» [٣].

وإنما لم يجمع القرآن في صحف منظمة أو مصحف واحد في حياة النبي ﷺ لأن القرآن كان ينزل مفرقاً، فربما نزل بعض السورة وتأخر نزول تتمتها، فكانت الآيات تكتب على الرقاع وتُراجع بين آونة وأخرى لترتيبها في سورها بتوجيه من النبي ﷺ "فلما ختم الله عز وجل دينه بوفاة نبيه ﷺ وكان قد وعد له حفظه بقوله عز وجل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وَفَّقَ الله خلفاءه لِجَمْعِهِ عند الحاجة إليه بين الدفتين، وحَفِظَهُ كما وَعَدَه"[٤].

إن الأحداث الجسام، والظروف الصعبة، والكفاح المستمر الذي صاحب حياة النبي ﷺ - وإن وسائل الكتابة الخشنة البدائية الصعبة الاستخدام، مع قلة الكَتَبة وضعف خبراتهم الكتابية - كل ذلك لم يحل دون كتابة القرآن، فكان رسول الله ﷺ يدعو كتاب الوحي ويأمرهم بكتابة ما ينزل عليه من القرآن، ويراجعه معهم.

---

[١] دلائل النبوة ١٤٧/٧.

[٢] نقلاً عن السيوطي : الإتقان١/ ١٦٨.

[٣] جامع البيان ١٠ و.

[٤] البيهقي: دلائل النبوة ١٥٤/٧، وينظر: ابن حجر: فتح الباري ١٢/٩، والسيوطي: الإتقان ١٦٤/١.

جمع القرآن في الصحف: أولاً - أسباب جمع القرآن:

كان القرآن الكريم قد كُتب مفرقاً في الرقاع في حياة النبي ﷺ، وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن لم يجمع في صحف منظمة، وحين تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة سعى إلى تثبيت أسس الدولة التي بناها رسول الله ﷺ وكان أول ما واجهه - في خلافته - ارتداد قبائل من العرب وامتناعهم عن أداء بعض حقوق الإسلام ووقف الصديق من هؤلاء موقفاً حازماً، وقال كلمته المشهورة: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه[١]. وانضم بعض المرتدين إلى مُدَّعِي النبوات الكاذبة، فجهز الصديق الجيوش التي كان في طليعتها كبار الصحابة، لقتال هؤلاء الخارجين، ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى عادت الجزيرة العربية كلها إلى حظيرة الإسلام، واندفعت جيوش الصحابة نحو الشام والعراق.

وقد استشهد في تلك الحروب عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، كان من بينهم عدد من حفاظ القرآن. وكانت معركة اليمامة، التي أَذلَّ الله فيها مسيلمة الكذاب وجمعه، من أعظم الغزوات في حروب الردة، وأبعدها أثراً، وقد استشهد فيها عدد من كبار الصحابة المهاجرين والأنصار، كان من بينهم نحو خمسين من حملة القرآن[٢].

وكانت هذه الأحداث وما رافقها من مقتل عدد كبير من الصحابة من حفاظ القرآن، من أهم العوامل التي جعلت عدداً من الصحابة يفكرون في ضرورة جمع القرآن في صحائف موحدة بدل تلك القطع المتفرقة، خشية أن يقتل عدد آخر من حفاظ القرآن من الصحابة، أو أن تذهب تلك القطع التي كتب عليها، فيتعرض

---

[١] تاريخ خليفة ٧٩/٧.

[٢] المصدر نفسه ٩٠/١.

القرآن إلى ضياع شيء منه أو نسيانه، وكانت حرب اليمامة ونتائجها السبب المباشر الذي وضع تلك الفكرة موضع التنفيذ.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد أحزنه مقتل الصحابة في اليمامة لا سيما أخوه زيد بن الخطاب، وأقلقه مقتل الحفاظ منهم، مثل سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، وهو من أشهر حفاظ القرآن، فجاء إلى الخليفة الصديق وقال له: إن أصحاب رسول الله ﷺ تهافتوا يوم اليمامة تهافت الفراش في النار، وإن القتل استحرَّ بأهل اليمامة من قراء المسلمين، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القراء، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن[١].

ولم تلق الفكرة في بدء الأمر موافقة الخليفة الصديق، الذي كان شديد الحرص ألا يعمل عملاً لم يعمله رسول الله ، لكن المراجعة التي حصلت بعد عرض الفكرة أدت إلى اقتناع الخليفة بها وتكليف زيد بن ثابت بالقيام بأعبائها.

ثانياً - كيفية جمع القرآن:

نقلت كتب الحديث والتاريخ تفاصيل عملية جمع القرآن في الصحف، من القطع التي كتبت في حياة رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري وغيره، عن محمد ابن شهاب الزهري، عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت أنه قال[٢]: أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه، إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ[٣] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني

[١] ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٦/١، والطبراني: المعجم الكبير ١٣٠/٥.

[٢] البخاري: الجامع الصحيح ٨٩/٦ و ٢٢٥/٦ و ٩٢/٩، والترمذي: كتاب السنن٢٦٤/٥، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ٦ - ٨، والطبراني: المعجم الكبير ١٤٦/٥ - ١٤٨، وابن النديم: الفهرست ص: ٢٧.

[٣] استحرَّ معناه: اشتد وكثر.

أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني أرى أن تأمر من يجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فَتَتَبَّعِ القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال زيد: فقمت فتتبعت القرآن، أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور[١] الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) حتى خاتمة براءة، مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره[٢]، فألحقتها في سورتها.

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

وتُبَيِّنُ هذه الرواية المفصلة أن القرآن لم يجمع في صحف منظمة قبل هذا الجمع، وهو ما دلت عليه الروايات التي عرضناها عند الحديث عن كتابة القرآن في حياة رسول الله ﷺ وتسمية ما جمع فيه زيد القرآن بالصحف لا يعني أن تلك

---

[١] ذكر ابن حجر (فتح الباري (١٥/٩): أن الواو في (وصدور الرجال) بمعنى (مع) أي: أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدور.

[٢] أي لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة (ينظر: السيوطي: الإتقان (١٦٧/١).

الصحف لم تكن على شكل منظم، فقد جاء في بعض الروايات أن تلك الصحف كانت محفوظة بين لوحين، كما روي عن علي ﷺ، أنه قال: «رحمة الله على أبي بكر، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين»[١]. وجاء في بعض الروايات تسمية تلك الصحف بالمصحف، كما نقل الطبري أن أبا بكر أول من وَرَّث الكلالة، وجمع المصحف[٢].

ولعل التسمية بالصحف كانت قد ظهرت أولاً، أخذاً من قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (البينة: ٢)، لا سيما أن القرآن كان أول كتاب عرفه المسلمون في تلك الفترة. ثم ظهرت كلمة (المُصْحَف) بعد ذلك، وهو في اللغة: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين[٣].

ولا شك في أن تلك الصحف كانت من مادة تشبه الورق، ويمكن أن يُعْمَلُ منها قطع متساوية، يسهل ضمها بين دفتين على خلاف القطع التي كتب عليها القرآن في زمن النبي ﷺ فإنها كانت غير متجانسة ولا يمكن أن يضم بعضها إلى بعض فتشكل ما يشبه الكتاب. ولا يتبين من الروايات نوع المادة التي كانت منها تلك الصحف، فجاء في رواية أنها من القرطاس، وهو الورق الذي يعمل من البردي في مصر قديماً[٤]. وفي رواية: أنها من الورق[٥]، وقيل: إن زيداً كتبه في قطع الأدم[٦].

ثالثاً - التدقيق في جمع القرآن:

إن ما بأيدي الدارسين اليوم من روايات تتعلق بجمع القرآن الكريم في المصحف

---

[١] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥.

[٢] جامع البيان ٢٨/١.

[٣] ابن منظور: لسان العرب ٨٨/١١ صحف.

[٤] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص:٩، وابن حجر : فتح الباري ١٦/٩.

[٥] أبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٦٤، والسيوطي: الإتقان ١٦٩/١.

[٦] الطبري: جامع البيان ٢٦/١.

تشير إلى أن زيد بن ثابت لم يعمل منفرداً، وإن كان قد تحمل العبء الأكبر من العمل، لما توفر له من الصفات التي جعلت الخليفة يختاره لهذه المهمة، فقد روي أن أبا بكر الصديق طلب من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد وينادِيا من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكانا لا يقبلان من أحد شيئاً، حتى يشهد شهيدان[١].

وقد قيل: إن المراد بالشهيدين أن يشهدا على أن ذلك المكتوب كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ[٢]، قال أبو شامة: إنما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ﷺ ولم يكتبوا من حفظهم ...[٣].

ويتبين من ذلك أن زيد بن ثابت اتبع في جمع القرآن طريقة التحقيق العلمي التي تنأى عن الخطأ، وقد اتبع الطريقة بدقة دونها كل دقة، فقد طلب أبو بكر إلى كل من عنده من القرآن شيء مكتوب أن يجيء به إلى زيد، واجتمع لزيد من الرقاع والأكتاف وجريد النخل ورقيق الحجارة، ومن كل ما كتب أصحاب رسول الله ﷺ القرآن عليه، الشيءُ الكثيرُ، عند ذلك جعل يرتبه ويوازنه ويستشهد عليه، ولا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى إثباتها كما أُوحِيَتْ إلى رسول الله ﷺ[٤].

ويتحصل من ذلك حقيقتان اثنتان؛ هما[٥]:

الأولى: إن عمل زيد رضي الله عنه في جمع القرآن لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنه إعادة لمكتوب، فقد كُتِبَ كله في عصر النبي ﷺ، وكان عمل زيد هو البحث

---

[١] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٦، والسيوطي: الإتقان ١/١٦٦.

[٢] أبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٥٥، وابن حجر : فتح الباري ٩/١٥.

[٣] المرشد الوجيز: ص: ٥٧ .

[٤] محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص: ٣٢٢ .

[٥] ينظر: محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى ص: ٣٣.

عن الرقاع التي كان قد كتب عليها والتأكد من سلامتها.

الثانية: إن عمل زيد لم يكن عملاً فردياً، بل كان عملاً جماعياً شارك فيه صحابة رسول الله ﷺ بما كان معهم من القرآن الذي كتبوه من قبل.

واستغرقت عملية جمع القرآن ما يقرب من سنة، فقد تم ذلك بعد معركة اليمامة التي وقعت في الأشهر الأخيرة من السنة الحادية عشرة، وقبل وفاة الصديق رضي الله عنه التي كانت في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة[١]. ولا شك في أن جمع القرآن تم قبل وفاة الصديق بمدة، إذ إن الرواية تشير إلى أن الصحف التي جمع فيها القرآن أودعت عنده حتى توفاه الله.

لقد كان جمع القرآن من جلائل الأعمال التي ازدان بها عهد الصديق، إن لم يكن أجلها[٢]، لأنه جاء في وقته المناسب، واعتمد على أوثق ما هو متاح من الوثائق. وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع القرآن بين اللوحين، وروي أنه قال: « رَحِمَ الله أبا بكر، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين »[٣].

توحيد المصاحف: أولاً - تعدد المصاحف واختلاف القراءات:

امتدت رقعة الدولة الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من سنة ١٣ - ٢٣هـ) وواكب ذلك الامتداد جهود كبيرة لتعليم الناس القرآن والفقه في الدين، وكان يشرف على تلك الجهود ويوجهها الخليفة نفسه، فقد أرسل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة، ليعلم أهلها القرآن والفقه[٤]. وأرسل عبد الله

---

[١] تاريخ خليفة ١٠٥/١.

[٢] محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص ١٦ .

[٣] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ١٦.

[٤] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦ ، وابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٦ .

بن قيس المشهور بأبي موسى الأشعري إلى البصرة ليعلم الناس فيها قراءة القرآن[١].

وبعد فتح الشام كتب واليها يزيد بن أبي سفيان إلى الخليفة عمر بن الخطاب أن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم، فأعِنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فأرسل إليه عمر كلاً من أبي الدرداء ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، وهم من علماء الصحابة بالقرآن والفقه[٢].

وكان علماء الصحابة الذين نزلوا في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أمور الدين، ويقرئونهم القرآن، على ما كانوا يقرؤون في حياة رسول الله ﷺ الذي رخص لهم بقراءة القرآن بالنطق الذي يستطيعونه، نظراً لاختلاف لهجاتهم، وتقدُّم أعمارهم، ولم يحملهم النبي ﷺ على تعلم نطق معين، وقد عبر عن تلك الرخصة قوله المشهور: إن هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه.

وقد أتاحت حركة الفتوح أن يلتقي المسلمون من التابعين تلامذة الصحابة، رضي الله عنهم، وكانوا من قبائل شتى وفيهم العربي وغير العربي، وكانوا يتدارسون القرآن، وكان كل واحد يقرؤه على نحو ما تعلمه من الصحابي، فتراجعوا في بعض وجوه القراءات، وادعى بعضهم أن قراءته أصح من قراءة غيره.

وكانت مظاهر تلك الحالة أشد وضوحاً في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتنقل الروايات التاريخية صوراً متعددة لذلك الاختلاف في القراءة، فمن ميادين القتال إلى ميادين التعليم[٣]. وتكاثرت أخبار ذلك الاختلاف ووصلت إلى مسامع الخليفة في المدينة، ومعه كبار الصحابة، مما جعلهم يفكرون في الوسائل

---

[١] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٥/٢.

[٢] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥٧/٢.

[٣] ينظر الطبري: جامع البيان ١/٢٧، وابن أبي داود كتاب المصاحف ص: ١٢ - ١٤.

التي يمكن أن تحافظ على النص القرآني وتمنع وقوع الاختلاف فيه.

وكانت كتابة القرآن في الأمصار تعتمد على قراءات الصحابة الذين نزلوا فيها، فكان أهل الكوفة يكتبون مصاحفهم على قراءة عبد الله بن مسعود [١] وكان أهل دمشق قد كتبوا مصحفهم على قراءة أبي الدرداء[٢]، وهكذا في بقية الأمصار، وكانت تلك المصاحف تعكس الاختلاف الذي ظهر في القراءة وكانت تعتمد على الجهد الفردي في الغالب، ولم يتوافر لشيء منها ما كان قد توافر للصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن في خلافة أبي بكر الصديق. قال ابن عطية: وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة، كمصحف ابن مسعود، وما كُتِبَ عن الصحابة بالشام، ومصحف أبَيّ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها[٣].

برزت إذن بشكل واضح مشكلة اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ووجود مصاحف متعددة غير موحدة بسبب اختلاف القراءات، وربما بسبب تفاوت الحفظ وتباين الدقة في الكتابة. وكانت هذه المشكلة موضع اهتمام الخليفة الثالث عثمان وألهمه الله تعالى القيام بعمل عظيم جمع الأمة على المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت من الرقاع التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ.

ثانياً - نسخ الصحف في المصاحف:

قرر عثمان بن عفان ﵁ جمع المسلمين على مصحف موحد في رسمه وترتيبه يعتمد على قراءة واحدة، وهي القراءة العامة التي كان الصحابة يقرؤون بها في المدينة،

---

[١] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ١٣٧.

[٢] المصدر نفسه ص: ١٥٥.

[٣] المحرر الوجيز ٦٥/١.

والتي كتب زيد بن ثابت القرآن بها زمن النبي وجمعه في الصحف في خلافة الصديق. وكان أول ما بدأ به الخليفة الثالث لتحقيق ذلك العمل العظيم هو استشارة الصحابة الذين في المدينة، في جمع الناس على مصحف واحد، فقالوا: نِعم ما رأيت[١].

والرواية المشهورة التي تحكي خطوات ذلك العمل الكبير هي التي رواها كثير من المحدثين والمؤرخين[٢]، ونص هذه الرواية كما نقلها البخاري عن أنس ابن مالك هو : إن حذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف، ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان . فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم.

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[٣].

والناظر في هذه الرواية يجد أنها بينت جملة أمور هي:

أ - السبب الذي حمل عثمان على القيام بنسخ الصحف في المصاحف، وهو

---

[١] ابن أبي داود: المصاحف ص: ٢٢.

[٢] الترمذي: كتاب السنن ٢٦٥/٥، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ١٨، وابن النديم: الفهرست ص: ٢٧، والداني: المقنع، وابن الأثير: الكامل ٥٥/٣، والزركشي: البرهان ٢٣٦/١، والسيوطي: الإتقان ١٦٩/١.

[٣] صحيح البخاري ٢٢٦/٦.

الاختلاف الذي حصل في قراءة القرآن وعدم وجود المصاحف الموحدة بأيدي الناس لكي يرجعوا إليها في ضبط قراءتهم.

ب - المصدر الذي اعتمد عليه في كتابة المصاحف، وهو الصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن في خلافة أبي بكر الصديق، معتمداً على القطع التي كتب عليها القرآن في حياة النبي ﷺ وبذلك تكون المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان تمثل نسخة مرتبة للقرآن الذي كتب بإملاء النبي ﷺ.

ج - وسائل حسم الخلاف بين المسلمين وهي:

١ - نشر المصاحف الموحدة في الأمصار الإسلامية.

٢ - وكتابة المصاحف على لغة من نزل القرآن بلسانهم، وهي لغة قريش ليكون موافقاً في رسمه لنطق النبي ﷺ.

٣ - إحراق ما سوى المصاحف التي كتبها الصحابة في المدينة من الصحف سواء كانت صحفاً أو مصاحف كاملة، مهما كانت، ولولا هذه الخطوة لما أعطى ذلك العمل ثماره ولا حقق أهدافه.

د - وذكرت الرواية أسماء الذين قاموا بالعمل وهم أربعة من شباب الصحابة. زيد بن ثابت الأنصاري، كاتب الوحي للرسول ﷺ الذي كان عمره عند وصول النبي إلى المدينة مهاجراً إحدى عشرة سنة[١]. وكان معه ثلاثة من قريش هم عبد الله بن الزبير، الذي ولد في السنة الأولى من الهجرة[٢]. وسعيد بن العاص الذي ولد عام الهجرة أيضاً، وعبد الرحمن بن الحارث الذي كان عمره عشر سنين حين توفي النبي ﷺ. فكان هؤلاء الأربعة في سن يتمتعون فيها بالقوة البدنية والنضج

---

[١] ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٣٧/٢.

[٢] المصدر نفسه ٩٠٥/٣.

العقلي الذي يتطلبه عمل كبير مثل انتساخ المصاحف.

وروى ابن سعد، وابن أبي داود، أن محمد بن سيرين قال: جمع عثمان - لما أراد أن يكتب المصاحف - اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت[١]، وكأن ابتداء الأمر كان للجماعة الأربعة الذين انتدبهم عثمان أولاً، ثم احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة[٢]، نظراً لكثرة المصاحف التي كان عليهم كتابتها.

هـ - لم تحدد الرواية عدد المصاحف التي كُتِبَتْ، لكنها أشارت إليها بهذه العبارة حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وهي عبارة تدل على أن عدد المصاحف لم يكن قليلاً. وجاء في بعض الروايات أن عدد المصاحف أربعة، وفي رواية أخرى أنها سبعة، أرسلت إلى مكة، والشام واليمن والبحرين، والبصرة، والكوفة وبقي واحد في المدينة[٣]. ومهما يكن عدد المصاحف التي كتبت أولاً في المدينة فإن المسلمين في الأمصار أقبلوا ينتسخون منها نسخاً جديدة تخرج عن العد والحصر كلها موحدة في الرسم والترتيب.

و - لم تحدد الرواية السنة التي نُسِخَتْ فيها المصاحف، لكن من العلماء من حدد ذلك بسنة خمس وعشرين من الهجرة، وهو الوقت الذي ذكر أهل التأريخ أن أرمينية فتحت فيه، وقال ابن حجر : وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين. ولم يذكر لذلك مستنداً[٤].

ثالثاً - عَرْضُ المصاحف:

---

[١] الطبقات الكبرى ٥٠٢/٣ ، وكتاب المصاحف ص: ٢٥ .

[٢] القسطلاني : لطائف الإشارات ٦٣/١.

[٣] ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ٣٤، والداني: المقنع ص ٩ .

[٤] فتح الباري ١٧/٩. وقد حدد ابن الأثير في الكامل (٥٥/٣) تاريخ نسخ المصاحف بسنة ثلاثين، وتابعه في ذلك ابن خلدون في كتابه: العبر ١٠١٨/٢.

كان الصحابة وهم ينسخون المصاحف يدركون قيمة العمل الذين يقومون به وما يتطلب من الأناة والدقة، وكانوا يعملون على أساس القاعدة التي حددها لهم الخليفة عثمان رضي الله عنه، وهي إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وذلك أن زيد بن ثابت كان من أهل المدينة، فربما تأثر رسمه للقرآن ببعض خصائص لهجته، وقال الزهري: «فاختلفوا يومئذ في (التابوت) و(التابوه)، فقال القرشيون (التابوت)، وقال زيد: (التابوه) فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال اكتبوه (التابوت)، فإنه نزل بلسان قريش»[١].

وجاء في بعض الروايات أن الذين كانوا يكتبون المصاحف ربما اختلفوا في الكلمة، فيتركون مكانها فارغاً، ولا يثبتونها حتى يسألوا عنها، وربما يذكرون الرجل قد تلقاها عن رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي فيُرْسَلُ إليه أو يجئ، حرصاً منهم على الدقة في كتابة كلمات القرآن الكريم[٢].

وكان الصحابة يدققون في كتابة المصاحف في أثناء العمل[٣]، وبعد إنجازه، فإن المصاحف لم ترسل إلى الأمصار إلا بعد عرضها ومراجعتها، وجاء في بعض

---

[١] الترمذي : كتاب السنن ٥/٢٦٦ ، وينظر الطبري: جامع البيان ١/٢٦.

[٢] الطبري: جامع البيان ٧/٢٧، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص: ٢٣، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٦٠، والسيوطي : الإتقان ١/١٧٠.

[٣] جاء في رواية جمع القرآن في الصحف فقدان زيد لآيتين من آخر سورة التوبة ﴿لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُم ...﴾، وجاء في رواية أخرى عن زيد بن ثابت أنه قال: فقدنا آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليه﴾، فألحقناها في سورتها في المصحف وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك حدث في نسخ المصاحف، لكن آخرين رجحوا أن ذلك كان في جمع القرآن في الصحف أيضاً. ينظر البخاري: الجامع الصحيح ٦/٢٢٦، وابن كثير: فضائل القرآن ص: ٤٦، وابن حجر: فتح الباري (٩/٢١).

الروايات أمثلة للكلمات التي توقف عندها الصحابة ودققوا رسمها، وهي مروية عن هانئ البربري الدمشقي مولى عثمان بن عفان، ولدينا روايتان في ذلك هما:

الرواية الأولى: قال هانئ: كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سله عن قوله (لم يتسن)، أو ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، فقال عثمان: اجعلوا فيها هاء[١].

الرواية الثانية: قال هانئ: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها (لم يتسن) و (فأمهل الكافرين) و (لا تبديل للخلق). قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾، ومحا (فأمهل) وكتب ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾، وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ ألحق فيها الهاء[٢].

وهذا الحرص والتدقيق في رسم كلمات القرآن يدل على نحو لا يقبل الشك. أن القرآن الكريم قد حفظ نصه كما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ وأنه حظي في جميع مراحل كتابته بالمراجعة التي لا تدع مكاناً للنسيان والوهم في عمل يتعلق بالقرآن الكريم.

وكان أبو بكر الصديق قصد جمعه في مكان واحد، ذخراً للإسلام يُرجع إليه إن ذهب قراؤه، وعثمان قصد أن يقتصر الناس على تلاوته على اللفظ الذي كتب بأمر النبي ﷺ ولا يتعدوه إلى غيره من القراءات التي كانت مباحة لهم[٣]. قال القاضي أبو بكر الباقلاني: « وجميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثباته ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته هو الذي بين اللوحين، الذي حواه مصحف عثمان رضي الله عنه، لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه شيء، نقله الخلف عن السلف »[٥].

---

[١] الطبري: جامع البيان ٣٧/٣.

[٢] المصدر نفسه ٣٨/٢

[٣] أبو شامة: المرشد الوجيز ص: ٧١.

[٥] نكت الانتصار: ص ٥٩.

صورة الجامع الكبير وبعض قاعة المحاضرات
للجامعة الإسلامية مظفر فور

Title Code: UPARA 00029 Quarterly

AL-SHARIQ Arabic

JAMIA ISLAMIA
Muzaffarpur, Azamgarh, Pin: 276302 U.P. (India)

Vol. No: 8 Issu.No:4

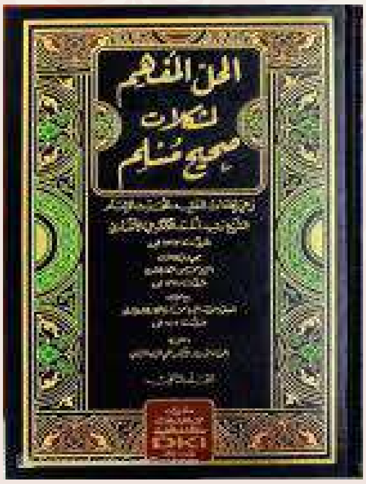

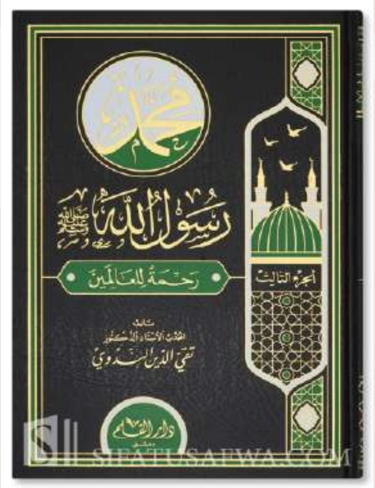

Email: alshariqarabic@gmail.com

Mob: +918795565555

(Printed At Harsh Offeset Press, Jaunpur, U.P.)